

الرحالة الأندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من (ق3هـ - ق9هـ) تقصّ وعرض

آمنة سليمان البديوي*

ملخص

كثرت الرحلات المغربية والأندلسية وتعددت، لكن ما وصلنا من هذه الرحلات يعد قليلاً إذا ما قيس بعدد المرتحلين، وبالإشارات التي وردت عنها في المصادر.

وليس من شك في أن فريضة الحج كانت من أعظم البواعث على سفر الكثير من المغاربة والأندلسيين في كلّ عام للحجاز للقيام بأدائها، وبعد زيارة الحرمين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة في المشرق: كالمسجد الأقصى في القدس، أو قبر إبراهيم الخليل، ثم يعرجون على دمشق ومدن أخرى. وعندما يقفلون راجعين، يقفون بمصر ثم يذهبون للفسطاط حيث جامع عمرو بن العاص، ثم يقطعون مفازة من برقة إلى طرابلس، ثم إلى تونس فالمغرب.

وقد يرتحل بعضهم بقصد الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول، أو الرغبة في ارتياد العلم، وقد تكون بعض الرحلات سفارية، كرحلة الغزال في القرن الثالث الهجري.

وقد تتبعت في هذا البحث ما استطعت من هذه الرحلات المطبوعة في مصادرها، والمخطوطة والمتفرقة في الكتب من خلال بعض المصادر والمراجع، وتتبع الإشارات التي وردت عنها، وقد رتبته زمنياً حسب بدء الرحلة، فإن لم يتعين زمن بدئها في بعض الرحلات المخطوطة، اعتمدت سنة وفاة المؤلف، فإن لم يتعين اعتمدت الوجود العربي في الأندلس والمغرب والقرن الذي كانت فيه. وقد صنفتها متسلسلة حسب القرون بدءاً بالقرن الثالث الهجري، وانتهاء بالقرن التاسع الهجري.

الكلمات الدالة: الرحالة الأندلسيون، المغاربة، الرحلات.

المقدمة

الرحلة وجدت مع الإنسان، وتعددت أهدافها ومراميها، فهي استمرار لوجود الإنسان ومعرفته، وهي امتداد حضاري للأبعاد الثقافية والاجتماعية والجغرافية، وهي تحمل صورة الآخر. وقد كثرت الرحلات الأندلسية والمغربية وتعددت لكن ما وصلنا منها يعدّ قليلاً، وبدأتُ رصد هذه الرحلات من سنوات، فشغلت عن البحث فيها مدة، ثم عدت لدراستها، وإعادة النظر فيها، فوجدت بعض المخطوط منها قد حُقّق، وقد وجد في المُحقّق منها، إشارات لرحلات مفقودة جديدة، فأغنى المخطوط منها إضافات جديدة للرحلات، وكشف عن المخبأ منها. وقد تعددت أنواع الرحلات بتباين أهدافها؛ فقد ارتحل بعضهم بقصد الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول، أو الرغبة في ارتياد العلم، وقد جاءت بعضها سفارية، كرحلة الغزال في القرن الثالث الهجري،

أو مشاهدات سريعة وزورات قصيرة، من مثل مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب التي جاءت على صورة المقامة، وقد نشر الكثير من الرحلات، لكن أردت أن أجمع الرحلات التي تتبعتها مطبوعة ومخطوطة ومتفرقة في المصادر، لتبدو الصورة شبه متكاملة، وعدّتي في ذلك الرحلات المطبوعة التي يكشف أصحابها عن مرتحلين ورحلات معاصريهم، أو بعض الكتب والمجلات الحديثة التي تتبعت هذه الرحلات المخطوطة في المكتبات العالمية، أو العربية، أو في مكتبات شخصية لعلماء وباحثين، أو إشارات في المصادر والكتب الأمات والأصول، من مثل "فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري، "ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب" للسان الدين ابن الخطيب، و"الروض المعطار في خبر الأقطار" للحميري، وغيرها. واطّلت على بعض المراجع الحديثة التي أفاد أصحابها من الاطلاع على بعض هذه الرحلات، بخاصة المخطوطة منها، واطّلت على بعض الرحلات المطبوعة والمحققة حديثاً والتي وجد بعضها منشوراً وتعدّر الحصول عليها، اطلعت عليها عبر الشبكة العنكبوتية، من مثل "قانون التأويل" لأبي بكر ابن العربي. ولعلّ قيمة هذه الدراسة تبرز في

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2011/7/2، وتاريخ قبوله 2013/7/18.

تضمنت قصيدة رائية في مئة وتسعة وعشرين بيتاً جامعة لمراحل الحجاز من مصر إلى مكة مع مناسك الحج، عليها شرح اسمه (إتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك)⁽³⁾.

رحلات القرن الرابع الهجري

لم تعثر الباحثة من رحلات القرن الرابع الهجري، إلا على إشارات عديدة لرحلة سفارية لإبراهيم بن يعقوب الطرطوشي (347هـ) يهودي من أهل طرطوشة، وهو تاجر ممن كانوا يعملون في طلب الرقيق الأوروبي إلى الأندلس، ولهذا كان يقوم برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة وشمالى أوروبا، وقد كتب رسالة إلى الحكم المستنصر عن رحلة قام بها إلى ألمانيا أيام الاميراطور أوتو الكبير على الأغلب، واحتفظ البكري بجانب كبير من هذه الرسالة، وقد عني بهذا الجزء نفر من المستشرقين مثل كويك وفيجرس وجيورج ياكوب، فنشروه على حدة وترجموه إلى الروسية والألمانية والهولندية.

ومن الباحثين من استبعد أن يكون إبراهيم بن يعقوب أندلسياً، وغلب على رأيهم أنه من المغرب⁽⁴⁾، ولكن العذري يسميه الطرطوشي، وقد أورد له العذري قطعة تدل على أنه كان بالفعل أندلسياً عارفاً بشؤون الأندلس⁽⁵⁾، والقطعة التي أوردها البكري من رسالة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي تصف رحلته إلى شرق أوروبا، وكيف عبر البحر الإديرياني، ووصل إلى بلاد صقالبة الغرب، وزابراج وشرقي ألمانيا⁽⁶⁾، فيما عدا الفقرات التي أوردها عبد المنعم الحميري⁽⁷⁾.

رحلات القرن الخامس الهجري

من الرحلات المهمة في هذا القرن، رحلة مخطوطة بعنوان (ترصيع الأخبار وتوزيع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (ت478هـ)⁽⁸⁾، وهو العنوان الحقيقي الطويل للكتاب الذي حملته واحدة من الأوراق التي يتألف منها النص والخاصة بالسفر السابع⁽⁹⁾، وقد ورد له اسم آخر عند ياقوت الحموي هو (نظام المرجان في المسالك والممالك)⁽¹⁰⁾، وقد حقق عبد العزيز الأهواني نصوصاً من هذا المخطوط في كتاب حمل العنوان الأول، طبع بمعهد الدراسات الإسلامية بمديرد 1967، معتمداً على نسخة موجود أصلها في مكتبة خاصة تسمى مكتبة البديري في القدس، عثر عليه رشاد عبد المطلب في بعثة لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، وجده أوراقاً مفرقة في صندوق هناك فصورها، والصورة مودعة محفوظة في المعهد المذكور على ميكروفلم (رقم 30 من

الكشف عن هذه المخطوطات، وإيراد ما وجدته من نصوص عنها متفرقاً في المصادر، وإبراز الإشارات للرحلات المفقودة التي لا بد أن تجد طريقها إلى الكشف والعلن، إذا استمر طرق باب البحث عنها وتتبع ما ورد منها، وربما يفضي تحقيق المزيد من الرحلات المخطوطة إلى الكشف عن نصوص من الرحلات المفقودة بين ثانياً صفحات رحلات مخطوطة تنتظر باحثين كي ترى نور الكشف عنها، فتضيف المزيد من الحقائق والمعلومات، وتكشف عن المزيد من العلماء والرحالة الذين غاب ذكرهم بغياب ما أورده من أخبار رحلاتهم وما ورد فيها من معلومات وذكر علماء وأدباء.

وقد رتبتهأ زمنياً حسب بدء الرحلة، فإن لم يتعين زمن بدئها في بعض الرحلات المخطوطة، اعتمدت سنة وفاة المؤلف، فإن لم يتعين اعتمدت القرائن السياسية والتاريخية للوجود العربي في الأندلس والمغرب والقرن الذي كانت فيه.

رحلات القرن الثالث الهجري

لعل أشهر سفارة أندلسية في القرن الثالث الهجري هي الرحلة التي قام بها يحيى بن الحكم الجباني الملقب بالغزال (156-250هـ) من قبل أمير الأندلس لدى ملك النورمان، الذي كان جنوده قد شنوا حرباً على الأندلس وأعملوا في بعض بلدانها نهبا وتخريباً وقتلاً، وبسبب اندحارهم أمام القوة الأندلسية الإسلامية، فكّر ملك النورمان بعقد محالفة ود وصداقة مع الأمير عبدالرحمن الأوسط، فوجه سفارة بهذه المهمة إلى بلاد الأمير، وبعد الوقوف على رغبة ملك النورمان، ارتأى الأمير توجيه سفارة رداً على سفارته، فاختار يحيى بن الحكم الغزال⁽¹⁾ ويرى إحسان عباس أن ثمة سفارتين للغزال: إحداها لدى ملك الروم في القسطنطينية، والثانية لدى ملك النورمان، فكانت الأولى بعيد سنة (206هـ)، والثانية بعيد سنة (230هـ). وقد تحدث الغزال في رحلته عن كثير من الأمور التي أضحت معلومات عن بلاد المجوس، فقد عرفته على بلاد غريبة، وأناس غرباء، وعادات يراها لأول مرة. والحكايات التي تروى في هذه الرحلة ليست كلها من نسج الخيال وبخاصة رفض الغزال أن يسجد لملك المجوس، ثم إعجاب ملك المجوس برأيه وحكمته، إلا أن العنصر النسائي غالب على قصص تلك الرحلة، واقتتان الغزال بزوجة الملك ونوادره معها مبنية على خفة ظله وميله إلى الدعابة⁽²⁾.

وهناك إشارة لرحلة مخطوطة سبقت رحلة الغزال لعبد المجيد بن علي الزيادي المنالي الفاسي (ت209هـ) سماًها (بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام) توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط، تحت رقم (1808) (184) ورقة

612) وعدد أوراقه (48) صفحة، وكتبت النسخة بخط أندلسي قديم واضح⁽¹¹⁾.

ويكشف نص العذري عن جانب من عقليته، وهو هذا الميل الشديد إلى تصديق العجائب، والحرص على إيرادها في كتابه، ويعتمد على النقل من القرويني وغيره من الجغرافيين، فيما يضمنونه كتبهم من أحاديث الغرائب والعجائب، وقد غلبت عليه نزعة الرواية فاعتمد على السابقين من مؤرخي الأندلس مشيراً إليهم، أكثر من اعتماده على مشاهداته هو، وما يتطلبه ذلك من أسفار ورحلات ومشاهدة للناس، وتمحيص لأحوالهم⁽¹²⁾.

ومن أشهر جغرافيي القرن الخامس الهجري ورحالته، أبو عبيد البكري الأندلسي (ت487هـ) الذي نشأ في عصر ملوك الطوائف، وصفه ابن الأبار بأنه من مفاخر الأندلس، وهو أحد الرؤساء الأعلام⁽¹³⁾، وكتابه (المسالك والممالك)، وقد طبع طبعة غير محققة بمكتبة المثنى ببغداد، ويروي فيه قصصاً تشبه الأساطير عن جهاد الأندلسيين من المولدين والبربر والمستعربين ضد المسيحيين الذين انتشروا في بلدان الساحل الشرقي الأندلسي التي كانت تعرف باسم البلاد البحرية، وكان يمر بالمدن المغربية الإفريقية، ويذكر الأحداث التاريخية فيها، ويصف ماءها وهواءها، والأقوام الذين يقطنون فيها وعاداتهم وعلاقاتهم، كما يروي ما فيها من عجائب وغرائب.

ويرتحل في أواخر القرن الخامس الهجري، أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري⁽¹⁴⁾ في سن مبكرة بصحبة والده من إشبيلية قاصداً شمال إفريقيا، معرجاً على بونة وتونس وسوسة، ويضطر للرحيل إلى الحجاز، ثم يرحل إلى بيت المقدس، ثم يتابع الرحلة إلى المدن الفلسطينية. وقد سجل ابن العربي أحداث رحلته العلمية والاجتماعية في كتابين، الأول (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، ولم يعثر إلى الآن على هذا الكتاب، وقد وردت منه نقول من ذلك ما نقله حسين مؤنس من خطبة شواهد الجلة، وقد نقل هذه الخطبة أو الرسالة من مخطوط صورته محمود علي مكي من مكتبة القرويين في فاس، واستخرج معهد الدراسات الإسلامية في مدريد نسخة لمكتبته، وهو المخطوط ذاته الذي أخذ منه (ليفي بروفنسال) نص مفاخر البربر، يقول ابن العربي من الخطبة "ولما سبق خير القضاء برحلتني إلى تلك المشاهد الكريمة، وحلولي في تلك المقامات العظيمة، دخلتها والعمر في عنفوانه، والغصن مانس بأفئانه، والكتاب محتوم، ومعني صارم لا أخاف نبوته... فجنيت من كل شجرة زهرة، ووعيت من كل صنف درره، وكشفت عن كل خفاء غوره، وافترقت من كل فن فقره، حسبما

فسرته وأوضحته، وشرحته وبينته، وقررتة ونزلته في كتاب (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، وذكرت فيه لقاء الأعيان لنا، وسير الفضلاء معنا، ولحظهم لجانبنا بناظر التعظيم، ومقابلتهم ورودنا بالتجليل والتكريم، ووعدنا لهم على غاية الرضا والتسليم، وانقلابهم عنا بصفة المرتضى، وأتبعناهم جملاً من طرائفهم، ونتفا من فوائدهم، فاستخرت الله تعالى على تجريد هذه الأوراق بشواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان لنا بمزية التعظيم والتوقير⁽¹⁵⁾.

وقد وردت الإشارة إلى هذا الكتاب من كلام ابن العربي في نفح الطيب عند حديثه عن المائدة في القدس حيث يقول: "وقد شرحت أمرها في كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا"⁽¹⁶⁾.

أما الكتاب الثاني فهو كتاب (قانون التأويل)، وقد عثر عليه إحسان عباس ضمن مخطوطة محفوظة بمكتبة الحاج سليم آغا بأسكدار تحت رقم (499)، وتضم المخطوطة كتابين لابن العربي أولهما كتاب (الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى) والثاني كتاب (قانون التأويل) وقد جاء في نهاية الكتاب الثاني، "فرغ من نسخة في العشر الأول من شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة"، وقد اقتصر على تقديم النص المتعلق بالرحلة في مجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأميركية⁽¹⁷⁾. ثم طبعت هذه الرحلة، وحققها السلمي⁽¹⁸⁾. وقد زار ابن العربي في رحلته كثيراً من المدن مسجلاً بعض المشاهد من الحياة العامة، ومصوراً بعض الصعوبات التي واجهته مع والده ومن معه، ويتضح الدافع إلى الرحلة في مواضع متفرقة، في قانون التأويل، يقول: "قدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا"⁽¹⁹⁾، "وصاب بأرضنا شؤبوب فتنة مادارت سحابة بنا، فانصدع الالتئام"⁽²⁰⁾، مما يدل أن الرحلة كانت وسيلة للنجاة، بعدما تغيرت الأحوال في الأندلس، بزوال الدولة العبادية⁽²¹⁾.

رحلات القرن السادس الهجري

طاف الإدريسي أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله (493-560هـ) في الأندلس وشمال إفريقيا وآسيا الصغرى وفرنسا وإنجلترا، ثم رحل لتأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، فزار مصر والحجاز وقد دون مشاهداته في رحلته الموسومة بـ(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) واستعان الإدريسي في مؤلفه بما أفاده من رحلاته الخاصة، وبما قيده من أحاديث الرحالة والتجار والحجاج في السفن التي كانت في ميناء صقلية، إلى جانب ما استطاع الحصول عليه عن البلاد المسيحية، بفضل رعاية الملك رجار ملك صقلية⁽²²⁾، ولعل قصة الفتية المغربيين من أشهر القصص التي رواها الإدريسي،

وروى ما تخللها من العجائب والمخاطر.

ولعل أقدم ترجمة عرفت لكتاب (نزهة المشتاق) كانت إلى اللاتينية في بداية القرن السابع عشر الميلادي، وقد نشرت قطع كثيرة من كتاب الإدريسي، وترجمت كل قطعة إلى لغة من اللغات الأوروبية، وكان أول ما نشر من هذه القطع في روما سنة 1878م، ويضم المقدمات والجزئين الثاني والثالث من الإقليم الرابع بعناية ميكيلي أماري⁽²³⁾.

أما أبو حامد الغرناطي (ت565هـ) فقد ارتحل إلى المشرق سنة (508هـ) وسمع بها، وحدث بدمشق، ودخل خراسان، وكان يروي قصص عجائب شاهدها وأخبار سمعها، وسجل حوادث رحلته في كتابين: الأول كتاب (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب)، وقد حققه إسماعيل العربي، ونشرته المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982. مخطوطة المتحف البريطاني التي تحمل رقم (18535) وهي أقدم نسخ الكتاب المعروفة، وكتبت بإملاء المؤلف⁽²⁴⁾.

وقد جعل أبو حامد كتابه في أربعة أبواب: الأول في صفة الدنيا وسكانها، والثاني في صفة عجائب البلدان وغرائب البنين، والثالث في صفة البحار وعجائب حيواناتها، والرابع في صفات الحفائر والقبور. وقد كان في كتابه رفيع الأسلوب، يقصه ويرويه من مشاهداته الشخصية المسلية، ومما ينقله عن الغير، مما يزيكه ويثق بنقلته من العجائب والغرائب، وقد كانت القصص والحكايات التي يقدمها مسلية ومثيرة لكنها تكتسب طابعا من الحقيقة، ومن ذلك التفاصيل التي أوردها عن سيف مسلمة بن عبد الملك، وهي تحمل في الظاهر طابعا أسطوريا⁽²⁵⁾.

أما الكتاب الثاني لأبي حامد فهو (المغرب في بعض عجائب المغرب) وقد وردت له عناوين أخرى هي (نخبة الأذهان في عجائب البلدان)، و(المغرب من بعض عجائب البلدان)، وقد أخذ العنوان الأول (المغرب في بعض عجائب المغرب) من مخطوطة أكاديمية التاريخ بمديرد. وقد أطل الاغتراب وعاد إلى ديار الإسلام يحكي من العجائب والغرائب ما لا يكاد يصدق⁽²⁶⁾. ثم طبعت هذه الرحلة وحققها، (إينغرد بيخارنو)⁽²⁷⁾، وهي وثيقة تاريخية عن البلدان التي زارها، ينقل صورا للبيئة الطبيعية، ويذكر قصر النهار وطول الليل شتاء في روسيا⁽²⁸⁾.

ومن الرحلات في النصف الثاني من القرن السادس الهجري كذلك رحلة بنيامين التيطلي النباري (-ت569هـ) الذي يعطينا معلومات عامة عن أحوال اليهود في كل مدينة زارها، يصف أوضاعهم وطرق كسبهم ومركزهم العلمي والاجتماعي.

وقد كان بنيامين تاجرا، لكنه خرج في رحلته تلك بدافع الاطلاع الشخصي، وكانت وجهته بالدرجة الأولى الشرق الإسلامي، فقد خرج من تطيلة فانحدر منها إلى برشلونة فسواحل فرنسا... إلى أن أطل على الشرق الإسلامي فراح ينتقل بين المدن العامرة والقرى الزاهرة في سوريا ولبنان، وزار أضرحة الأتقياء ومقامات الصالحين، وتنتقل بين دجلة والفرات، وقد أعجب بما شاهده في وادي الرافدين من جماعات يهودية كانت تتعم يومئذ بالطمأنينة والرفاهية في ظل الخلافة الإسلامية، ثم انتقل إلى جزيرة العرب (صحراء اليمن)، وكان ينقل بعض الأساطير والروايات التي كان قد سمعها أو رويت له، وينتقل بعد ذلك للحديث عن أرض الصين، ويقص أهوال بحارها ومخاطرها. وقد نقل ما سمعه من روايات تجار العرب عن تلك البلاد السحيقة، فجاءت روايته قريبة الشبه بما يطالع في سفرات السندباد البحري عن بحار الصين ومهالكها⁽²⁹⁾. وقد ترجم هذه الرحلة وقدم لها عزرا حداد، وطبعت في بغداد 1945م. وهناك كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) لرحالة وكاتب مراكشي مجهول من كتاب القرن السادس الهجري، ولم يمدنا المؤلف خلال الكتاب بمعلومات تكشف لنا عن شخصيته، وفي الكتاب فقرات تبين أن المؤلف قد عاش في عهد يعقوب المنصور الموحي الذي كان حكمه بين (580-595هـ)⁽³⁰⁾. وينقل صاحب الاستبصار عن إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي معلومات طريفة عن تجار العرب الذين لقيهم في ألمانيا مقبلين من بلاد المجر، كما ينقل عنه خبر الزيتونة التي أوردها الدلائي نقلا عن الطرطوشي في كتابه (ترصيع الأخبار) إذ يقول: "وقد رأيت قَدَمَ خبرها أن إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي وذلك أنه أخبر عن ملك الروم سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة أنه قال له: إني أريد أن أرسل إلى أمير المؤمنين بالأندلس قوماً حاذقا بهدية، وإن من أعظم حوائجي عنده وأجل مطالبي قبله، وذلك أنه صحَّ أن في القاعة الكريمة كنيسة، وفي الدار منها زيتونة، إذا كان ليلة الميلاد نورت وعقدت وأطعمت من نهارها، فاعلم أن لشهيدها محلا عظيما عند الله - عز وجل - في تسليل أهل تلك الكنيسة ومداراتهم حتى يسمحوا بعظام ذلك الشهيد، فإن حصل لي هذا فهو أجل عندي من كل نعمة في الأرض"⁽³¹⁾.

وقد أورد صاحب روض القرطاس الكثير من المعلومات التي أوردها صاحب الاستبصار عن مدينة فاس⁽³²⁾.

ومن أشهر الرحلات في هذا القرن، رحلة ابن جبير البننسي الغرناطي (ت614هـ) الذي ارتحل إلى المشرق ثلاثا، وحج في كل واحدة منها.

وتحوي رحلة ابن جبير معلومات اقتصادية وبشرية وطبيعية،

قديم، والمخطوطة خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ، إلا أن د. المنوني يقدر أن تكون الكتابة قريبة من عصر المؤلف، ويرجح أن تكون من القرن الثامن الهجري، وهناك نسخ مصورة من المخطوطة بحوزة معهد المخطوطات للجامعة العربية وصورة أخرى بالخزانة العامة بالرياض⁽³⁷⁾.

ورحلة ابن سعيد المغربي الأندلسي الغرناطي⁽³⁸⁾ (610-685هـ) الذي غادر الأندلس وهو في سن التاسعة والعشرين، وقد وصل إلى الإسكندرية سنة (639هـ) وقد تنقل بين المغرب وتونس ومصر والشام والحجاز والعراق، وقد رأى في تجواله في تلك الأقاليم الإسلامية الواسعة كثيرا من العادات التي لم يألفها في الأندلس، ولم يقف عند عادات المجتمع في الشرق، بل سجل مشاهداته ووازن بينها وبين المجتمع الأندلسي، فالفسطاط في القرن السابع كما رآها كانت مغبرة الآفاق، غير مستقيمة الشوارع، بيوتها مبنية من الطوب، وأسواقها ضيقة، كثيرة الزحام، والناس يلتهمون الطعام داخل الجامع وفي الطرقات غير محتشمين، ولم تكن القاهرة في القرن السابع أسعد حظا، فقد لفتت انتباهه وسائل الانتقال الداخلية في الفسطاط، فقد لاحظ استعمال الحمير، وكانت مسيرته من باب زويلة إلى الفسطاط مثيرة للضحك، عند مشاهدته عددا هائلا من الحمير معدا للركوب، ولما أشار إليه المكاري أن يركب حمارا معه ليذهب إلى الفسطاط أنف من ذلك جريا على عادة ما خلفه في المغرب، ولم يطمئن إلا بعد إخبار المكاري له أن ركوب الحمير غير معيب على الأعيان، وقد تحدث ابن سعيد عن الحياة في أحياء القاهرة والفسطاط واصفا للوائم ومجالس اللهو والطرب ومرسلا نفسه على سجيته لا تقوته اللحاحات الذكية عند بعض المشاهد⁽³⁹⁾.

ولابن سعيد رحلتان: الأولى (عدة المستعجز وعقلة المستوف)⁽⁴⁰⁾ أشار إليها صاحب ذيل كشف الظنون، والثانية (النفحة المسكية في الرحلة المكية) أشار إليها صاحب النفح⁽⁴¹⁾ وصاحب ذيل كشف الظنون⁽⁴²⁾.

ومن رحلات القرن السابع، رحلة أبي القاسم محمد بن علي التجيبي السبتي (670-730هـ) التي سماها (مستفاد الرحلة والاعتراب) وهي في ثلاثة مجلدات ضخمة كما أشار صاحب الدرر الكامنة⁽⁴³⁾، يتضمن الجزء الأول خروجه من سبتة إلى مصر، أو من الأندلس إلى مصر، وقد قطع هذا المسلك برا إلى تونس وجلس إلى علمائها أسوة بأسلافه من الرحالين المغاربة، أما الجزء الثاني فقد ابتدأ فيه بذكر مدينة القاهرة، وضمن بقية أخبار الحجاز وبيت المقدس والشام في الجزء الثالث، وكان قد ارتحل سنة (669هـ).

وقد حقق الجزء الثاني من الرحلة عبدالحفيظ منصور

ويعطي صورة عن الجالية المغربية في بلاد الشام، وخاصة أوضاعها العامة كما عرض للحديث عن معاملة الحجاج، ورفع قصيدة إلى صلاح الدين بهذا الشأن، وترجع أهمية هذه الرحلة إلى أن معلوماتها دونت بأمانة بعد مشاهدة صاحبها لكل ما وصفه وعني بها الدارسون⁽³³⁾. وقد طبعت هذه الرحلة في مدينة ليدن، بمطبعة بريل 1907م، ثم صدرت عن دار الكتاب اللبناني في بيروت، ودار الكتاب المصري بالقاهرة.

وهناك إشارة مهمة لرحلة مفقودة لتاج الدين السرخسي⁽³⁴⁾ الذي ارتحل من المشرق إلى الأندلس سنة (593هـ) كما يقول في النص الذي أورده المقرئ له من هذه الرحلة المغربية، يقول: "إني وإن كنت خراساني الطينة، فإني شامي المدينة. وإن كانت العمومة من المشرق، فإن الخؤولة من المغرب، فحدث باعث يدعو إلى الحركات، والأسفار، ومشاهدة الغرائب في النواحي والأقطار... ثم دخلت الغرب من الإسكندرية في البحر، ودخلت مدينة مراكش أيام السيد أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن، فانصلت بخدمته"⁽³⁵⁾. ويؤكد النص الصلة القوية بين المشرق والمغرب، والشعور بحتمية الاتصال الدائم بينهما.

رحلات القرن السابع الهجري

من أهم رحلات هذا القرن رحلة صالح بن يزيد الرندي⁽³⁶⁾ (ت684هـ) إلى البلاد الحجازية في مصنفه المخطوط (روض الأنس ونزهة النفس) وقد جاء في مقدمة الرحلة أنه طرز هذا الكتاب باسم سلطان غرناطة أبي عبدالله محمد الملقب بالفقيه ابن محمد بن الأحمر. ويقع في مجلدين، وقد قصد الرندي جعله أشبه بالموسوعات فقسمه إلى عشرين بابا، احتوى كل باب موضوعا مستقلا عن الموضوعات الأخرى، فقد تناول في الباب الأول العالم ومعالمه، وفي الثاني الأرض وما يتعلق بها من الأقاليم، والثالث خصصه لبدء البشر وافتراق الأمم، والرابع تناول فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والخامس تحدث فيه عن الخلفاء وأهل البيت. والسادس خصصه لتاريخ الدولة الأموية. والسابع للدولة العباسية. أما الثامن فموضوعه أهل الردة. وقد تناول موضوع رحلته الحجازية في بابين من تلك الأبواب هما: الباب الثاني الذي تناول فيه موضوع الحجاز، حيث تكلم بشيء من التفصيل على مكة المكرمة، ووصف البيت الحرام، والباب الثالث الخاص ببدء البشر وافتراق الأمم. ومما يؤسف له أن ما يوجد من كتب الرندي هو المجلد الأول، وينتهي عند الباب التاسع ويقع في (139) ورقة، وتحتوي كل صفحة منه على ثلاثة وعشرين سطرا، وهي مكتوبة بخط أندلسي واضح مليح عتيق، مكتوب بمحلول السواك على ورق

رحلات القرن الثامن الهجري

من رحلات هذا القرن، رحلة أبي محمد بن عبدالله بن محمد التجاني (670-711هـ) التي قام بها بين سنتي (706-708هـ) قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، طبعت في المطبعة الرسمية بتونس سنة 1958م. وقد تجول في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي. ومن سمات هذه الرحلة أنها تعرض لمطالعتها أخبار المدن والقرى، وتجعله يحيط علماً بأحداثها مع التعريف بالنابغين من أبنائها ما بين فقهاء وقادة وأدباء وصلحاء. وتبين أسماء المدن والنواحي والقبائل التي تسكنها، ويورد وثائق تاريخية مهمة، تتمثل فيها صورة البلاد التونسية من حيث عناصر السكان، وحياتهم الاجتماعية وعاداتهم، والحديث عن جغرافية كل قطر ونباتاته.

أما شيخ الرحالة وأكثرهم طوافاً واستيعاباً للأخبار في هذا القرن فابن بطوطة صاحب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الذي قضى ثمانية وعشرين سنة من حياته ينتقل بين أجزاء العالم، فقد غادر وطنه لأداء فريضة الحج، فخرج من طنجة سنة (725هـ) إلى مصر عبر شمال إفريقية ثم إلى الشام، وبعد أداء الفريضة زار إيران وشرق إفريقيا، ودخل القرم وحوض الفولغا، وعرج على القسطنطينية، ثم يمعن في الرحلة شرقاً إلى خوارزم وبخارى والهند والصين، وبعد أن يعود إلى بلاده يعاوده الحنين إلى السفر فيزور الأندلس والسودان⁽⁴⁷⁾.

وقد كان ابن بطوطة من أشد الرحالة عناية بالحديث عن الحياة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها، أكثر من عنايته بالحديث عن الأرض والمدن، وكان يقظ الذهن يصف ما يرى ويسمع، وتتطبع الصور في ذهنه انطباعاتاً جيداً، ويمكن اعتباره مؤرخاً اجتماعياً للمسلمين في عصره⁽⁴⁸⁾.

وقد ارتحل البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى إلى المشرق سنة (736هـ) وسجل ملاحظاته ومشاهداته معتمداً على تجربته الشخصية لا على كتب الرحالة والمؤرخين، وقد التقى برحالة وأدباء منهم ابن الحاج النميري، واتصل به في الإسكندرية، وكم دافع عن المغاربة والأندلسيين. وانتقد ديوان الجمارك بالإسكندرية لتفتيش الصادر والوارد، وكان قد سبقه ابن جبير والعبدي وابن بطوطة إلى ذلك، حيث رفع ابن جبير قصيدة في الموضوع ذاته إلى صلاح الدين.

أما لسان الدين بن الخطيب (713-776هـ) فله رحلتان قصيرتان: الأولى على صورة مقامة تصف رحلة برفقة سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن نصر (733-755هـ) لتفقد أحوال الجانب الشرقي من غرناطة، وقد أورد أحمد مختار العبادي دراسة وافية لهذه المقامة، وتفصيلاً عن الأصول التي

ونشرته الدار العربية في ليبيا سنة 1975، وهو من مخطوطات دار الكتب القومية بتونس مسجلاً تحت رقم (645)، وهذه القطعة تشتمل على تراجم وافية لبعض الرحالة من أبناء عصره كابن دقيق العيد، كما يصف فيها المشاهد والغرائب في كل بلد يمر بها.

ورحلة محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي (ت721هـ) المعروفة باسم (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة)، وقد استطاعت الباحثة الاطلاع على الأجزاء الثاني والثالث والخامس من الرحلة، بتقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة وقد طبعت الأجزاء الثلاثة في الدار التونسية الثاني والثالث سنة 1982، والخامس سنة 1988م، وقد وجدت هذه النسخة المغربية من الرحلة بالأسكوريال، وكتبت بخط معروف واضح جميل. ولابن رشيد تعليقات على كل الأجزاء المكونة، وهذه الأجزاء كما نرى ينقصها الجزء الأول. وقد كان في كل مدينة حريصاً على الاتصال بعلمائها، والتعرف على وجوه القوم فيها⁽⁴⁴⁾.

ورحلة أبي عبدالله محمد بن العبدي الحيجي المسماة بـ(الرحلة المغربية) حققها محمد الفاسي وطبعت في الرباط سنة 1969م.

وقد بدأ العبدي رحلته سنة (688هـ) عبر إفريقية قاصداً الحج، حيث اجتاز شمال إفريقية ماراً بالسويس، ثم تلمسان والجزائر وقسطنطينة وتونس، حتى يصل إلى الإسكندرية ثم إلى مكة، ويعود ماراً بفلسطين والقدس. والعبدي لا يكاد يلقى ما يرضيه إلا في النادر، ويوجز رأيه في أهل زمانه بقوله: "وقد تعطل في هذا العصر موسم الأفاضل، وتبدد في كل قطر نظام الفضائل، وتفرق أهلها أيادي سبأ، وصاروا حديثاً في الناس مستغرباً، فعادوا اسماً بلا مسمى، وحرفاً ما دل على معنى، فالمحدث عنهم في مشرق أو مغرب كالمحدث عن عنقاء مغرب"⁽⁴⁵⁾. والغريب أنه يلاقي الأفاضل ويطيل في مدحهم ويذكر فضائلهم، وقد كان ساخطاً في معظم البلدان، إلا في تونس؛ التي أعجب بها وأطنب في مدحها، وقد وجد فيها ما لم يجده في غيرها، وجد أناساً يؤنسونه ويعرفون بالفضل. وكان لا يظهر ما بأهل البلاد، ولا يطلق لسانه فيهم إلا بعد خروجه منها، يقول في مستهل رحلته: "وهذه الرحلة بدأت بتقييدها في تلمسان، ولم يمكن إظهارها هناك، وأظهرتها بعد خروجنا منها"⁽⁴⁶⁾.

وتعد رحلته وثيقة عن الحياة الثقافية والاجتماعية في القرن السابع الهجري عن البلاد التي زارها، وصور عادات أهلها وطبائعهم وطرقاً من أخبارهم، منتقداً إياها بأسلوب لاذع، ووصف لا يخلو من دقة ملاحظة.

هذه الرحلة وكاتبها، فإن مخططها ومبدعها ومنفذ جميع مراحلها هو عبدالملك أبو عنان الميرني 729-759هـ ومعنى ذلك أن الأول معاصر للثاني، والصلة وثيقة بين الرجلين، صلة خادم بمخدومه، وزمن الرحلة زمن مرحلة خاصة من مراحل عهد دولة بني مرين، هي مرحلة الاستقرار والنضج⁽⁵³⁾.

وقد جاءت هذه الرحلة لأسباب دينية وسياسية أبرزها توحيد صفوف المسلمين، والقضاء على الفتن التي تثيرها الأعراب في النواحي الشرقية⁽⁵⁴⁾، وابن الحاج حينما يخبر ويروي يعنى أشد العناية بوصف الظروف والملابس والقرائن والمؤشرات التي تجعل الحدث يتخذ أبعادا واسعة، ينقل القارئ من المجردات إلى المحسوسات المدركة بالعين والأذن والصور الذهنية، فيجعل القارئ يدرك ويفكر ويتخيل لذلك نراه مهتما بالمرئيات والمسموعات من أصوات حيوانات ونباتات، فيضفي عليها من نفسه وبيث فيها من روحه وعاطفته⁽⁵⁵⁾ من ذلك وصفه للبالغ الإسبانية، والحوادث الطبيعية الطارئة كالرياح والعواصف والأمطار الطوفانية الخطيرة.

وقد تجلت قدرته الفنية في رسم صور الخيل، فكان رساما مطبوعا أهلته ثقافته الأدبية واللغوية لوصف الألوان والحوافر والقوادم والرؤوس والأذان، يقول: "اجتمعت الخلائق وتزاحمت الفياق، وتصاهلت الجرد السوابق، ولاعبت ظلالتها الضمر اللواحق، من كل أدهم أشبه المسك العتيق، لكن خالطه الكافور فهو بوجهه تسمى غرة، وحكى الليل البهيم، لكن حجوله الصبح الذي بهر أنوارا وراق سره، مسرج بالهلال، ملجم بالنجوم، طروب كأنما علّ بالرحيق المختوم...⁽⁵⁶⁾.

وهناك إشارات لرحلات أخرى من القرن الثامن هي رحلة الأبق المشرق لابن الطيّب، وأوردها ابن الخوجة محقق رحلة ابن رشيد⁽⁵⁷⁾، ورحلة الرعيني السراج أوردها حسن السائح محقق تاج المفرق⁽⁵⁸⁾.

رحلات القرن التاسع الهجري

سجل ابن خلدون (737-808هـ) في تاريخه أهم أحداث حياته في كتاب ذيل به كتاب العبر سماه (التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا)⁽⁵⁹⁾.

ومن رحلات هذا القرن، رحلة أبي الحسن علي بن القرشي الأندلسي القلصادي (ت791هـ)، فقد حقق هذه الرحلة محمد أبو الأجفان، وطبعها الشركة التونسية للتوزيع 1978م، وقد ابتدأ القلصادي رحلته سنة 840هـ، وبدأ بتلمسان فأخذ من أشهر أعلامها، وحضر المجالس العلمية، ورحلته حجازية أدبية، ولم يجعلها مقتصرة على الوصف للمعالم وذكر الأحداث التي حدثت له، وهو يتوخى الإيجاز غالبا ولا يطنب في

اعتمد عليها في نشرها، في كتابه (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب) الذي طبعته مؤسسة الشباب، الإسكندرية 1983م. وقد بدأت الرحلة من غرناطة في 17 محرم 748هـ، واتجهت نحو وادي آش ثم بسطة ومرت بعد ذلك ببلدة ميرة، وقد فرغ من تدوينها في (8 صفر 748هـ) أي قبل أن تنتهي ثلاثة أسابيع على بدئها، فهي رحلة قصيرة في الزمان والمكان، وقد استخدم السجعات المترادفة في وصفها، وفي غمار هذا ضاعت دقة الوصف، وكان في بعض الأحيان يسترسل مع موسيقى السجعات المتشابهة، فيغرق في المبالغة، وقد نثر على بعض المعلومات عن بسطة والمسجد الذي فيها واسم أبوابه⁽⁴⁹⁾.

أما الرحلة الثانية، فقد أوردها في (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) تحقيق أحمد مختار العبادي، وعبدالعزیز الأهواني صادر عن دار الكتاب العربي القاهرة، وقد كتب ابن الخطيب هذه الصفحات عن رحلته إلى جبل هنتاتة وهو جزء من جبال الأطلس الغربية، وهنتاتة "نسبة إلى قبيلة مصمودية صنهاجية كان لها دور في تاريخ المغرب أيام الموحدين، وقد ظل ابن الخطيب هناك من (760-763هـ)، وقد أورد عبارة كشفت عن حقيقة هدفه من تلك الرحلة، فقد قال في خطاب له قبل رحيله إلى عامر بن محمد بن علي الهنتاتي شيخ ذلك الجبل: "فلما حم الواقع وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع، وأصبحت ديار الأندلس وهي البلاقع وحسنت من استدعائك أيادي المواقع، قوي العزم، وإن لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسي السفر بسبيلك فألفيته خفيفا"⁽⁵⁰⁾. ومعنى هذا أن ابن الخطيب سعى إلى أن يستدعيه هذا الشيخ لزيارته أملا في كسب صداقة هذا الشيخ القوي، فيجد حامي ومأوى من الفتن والمخاوف التي كان يجتازها، وهو يشير كما سبق إلى حال الدولة الأندلسية، وفي ظروف كهذه لا تتطلب من ابن الخطيب التفاتا إلى خصائص طبيعية، أو ظواهر جغرافية، بل إننا نكلفه شططا إذا انتظرنا منه أن يصف ما رأى وما شهد، وأسلوبه فيها بادي التكلفة مليء بالصنعة اللفظية.⁽⁵¹⁾

ومن رحلات هذا القرن أيضا رحلة (فيض العباب وإفاضة مدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب) لأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج الغرناطي⁽⁵²⁾ (712-774هـ) وهي مصدر جديد من مصادر تاريخ المغرب الأدبي والحضاري في العصر الميرني، تحقيق محمد بن شقرون، طبعة الرباط 1984م. وقد بدأت الرحلة سنة (758هـ) وجاءت على مرحلتين: الأولى كانت داخل المغرب من فاس إلى سلا والرجوع إليها. والثانية من فاس إلى قسنطينة ثم إلى الزاب ثم الإياب، وإن كان ابن الحاج مؤلف

متوسطة، وثقافة تاريخية أسطورية تبعده عن صفات العالم المدقق⁽⁶³⁾. ومن الذين ارتحلوا في القرن التاسع أبو عصيدة البجائي الذي هاجر إلى المشرق العربي مبكراً، فمر بتونس ومصر والقدس وطرابلس الشام ثم استقر بالحجاز. وكان يرسل بعض الأعلام؛ فقد بعث برسالة من المدينة المنورة لصديق له في القاهرة، وهو أبو الفضل علي بن محمد المشدالي (ت 891هـ). ورسالة الغريب إلى الحبيب "إحدى ثمرات هذه المراسلات، وضمنها أبو عصيدة طرائف أدبية، وشذرات علمية، وأخباراً عن الرحلة. وقد حصل أبو القاسم سعد الله على (ميكرو فيلم) من مخطوطة "رسالة الغريب" من مكتبة جامعة برنستون، وهي في قسم يهودا⁽⁶⁴⁾. ثم طبعت هذه الرحلة ونشرت وقد عرّف بها ولخصها أبو القاسم سعد الله⁽⁶⁵⁾، وقد ساق المؤلف عن حياته في رسالته، لأن ترجمته قد ضاعت، وذكر البجائي في رحلته كتابه المفقود (أنس الغريب) الذي تضمن وصف رحلته التي قام بها من بجاية وتونس إلى الحجاز عن طريق مصر⁽⁶⁶⁾.

ومن الرحلات التي أشير إليها في القرن التاسع الهجري، رحلة أبي العباس أحمد بن الحسن بن منقذ القسطنطيني (770-809هـ)⁽⁶⁷⁾ ورحلة زروق⁽⁶⁸⁾ ورحلة محمد بن سليمان بن داود الجزولي (ت 893هـ)⁽⁶⁹⁾.

الخاتمة

تؤكد هذه الإشارات الكثيرة والمتنوعة لرحلات مغربية وأندلسية ضرورة تتبع هذه الرحلات ودراساتها في مظانها مطبوعة ومخطوطة ومتفرقة، لأنها تكشف عن أحوال سياسية واقتصادية واجتماعية قد لا نجد بعضها في كتب تاريخية وأدبية، إذ إنها تسجل الأحداث بصورة واقعية ممثل عليها بالحوادث والقصص والمشاهدات، كما تكشف عن علماء وأدباء مجهولين التقى بهم هؤلاء الرحالة، وأوردوا نصوصاً لهم، أو حتى كشفت رحلات بعضهم عن حياتهم وسيرتهم التي لم تورد لها المصادر، من مثل أبي عصيدة البجائي في رحلته "رسالة الغريب إلى الحبيب"، وقد قرأنا في بعض الرحلات جوانب أسطورية غرائبية، من مثل "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، وتنتقل أساطير شعبية مثل ابن بطوطة في رحلاته، وتنتقل بعض الرحلات من الإسرائيليات مثل رحلة ابن الدلائي وقصة المائدة في طور زيتا، ولعلّ الكشف عن المخبأ منها، يضيف إلى خصوصية مادة الرحلات التي تغري الباحثين في دراستها من مستويات وجوانب متعددة.

والله ولي التوفيق

الوصف، ولا يعرض الجزئيات الكثيرة، وقد طغى على أسلوبه السجع الذي لا يعتره تكلف كثير، وقد جاءت رحلته خالية مما توافر في بعض الرحلات الأخرى من الأمور الغريبة المتسمة بالطابع الخيالي⁽⁶⁰⁾.

وهناك سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة سنة 844هـ لمؤلف مجهول، ورد نصها في مجلة أندلسيات (مقتطفات من بعض المجلات الفرنسية والإسبانية والعربية)، وقد عثر على هذا النص عبدالعزيز الأهواني سنة 1951م، وهو رحلة كتبها بقلمه سفير غرناطي جاء إلى القاهرة في عهد المماليك يلتبس من الظاهر جقمق معونة يتقوى بها المسلمون في الدفاع عن أنفسهم ضد جيرانهم المسيحيين في إسبانيا، والأوراق التي نقل ما فيها موجودة بالمكتبة الأهلية بمديرد، وهي غير مذكورة في الفهرس المطبوع، وإنما هي ضمن مجاميع الدشت التي تمتلكها المكتبة المذكورة التي لم يفهرسها أحد، وهي في المجموعة التي تحمل رقم 18602⁽⁶¹⁾.

ومن الذين ارتحلوا من المشرق إلى المغرب في هذا القرن عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهر⁽⁶²⁾ الذي ارتحل سنة (866هـ) وقضى في رحلته بضع سنوات في زيارة الممالك والدويلات الإفريقية الواقعة في حكم الحفصيين وبني سنة، ومما يؤسف له أن عبد الباسط لم يدون أخبار رحلته ولكنه كتبها في مواضع متفرقة في كتابه (الروض الباسم) وقد قام المستشرق ليفي ديلافيد بنشر المقتطفات الخاصة بالأندلس مع ترجمة وتعليقات في مجلة الأندلس سنة 1933م، بينما قام الأستاذ برنشويج بنشر الأجزاء الخاصة بتونس والجزائر ومراكش، ومعها ترجمة فرنسية وتعليقات، وقد اطلعت عليها الباحثة في أندلسيات (مقتطفات من مجلات فرنسية وإسبانية وعربية) وهي وثائق بالغة الأهمية في تاريخ المغرب في القرن التاسع الهجري، فهي تبين جوانب شتى من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وما نقله من أخبار يشهد بدقة ملاحظاته ويشير إلى نظم تلك البلاد في عصره، وإلى أحوالها الاقتصادية والاجتماعية.

وهناك رحلة حجازية لعبدالله بن الصباح الأندلسي التي جعلها تحت عنوان: "منشأ الأخبار وتذكرة الأخيار" وهي مخطوطة اطلع عليها جمعة شيخة بدار الكتب الوطنية بتونس، حيث خرج ابن الصباح من المرية إلى غرناطة عاصمة بني الأحمر في ذلك الوقت ثم انتقل إلى سبتة وزار مراكش وفاس وقصد تلمسان ووهران ثم الجزائر وتونس فطرابلس والإسكندرية ووصل إلى القاهرة، ومنها قصد مكة فالمدينة فبيت المقدس. وتدل المعلومات التي وجدها شيخة في الرحلة أن له ثقافة دينية

الهوامش

- (1) عن حياة الغزال ورحلته، انظر، الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ط2، ق2، ص7، ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص136-146.
- (2) عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط6، ص162-163.
- (3) البلوي، تاج المفروق في تجلية علماء المشرق، مقدمة المحقق، ص76.
- (4) مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص76.
- (5) ابن الدلائي العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص7-8.
- (6) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص77.
- (7) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص512.
- (8) أحمد بن عمر الدلائي: رحل مع والده بعيد الأربعمئة إلى مكة فسمع الكثير من شيوخها، توفي سنة (478هـ)، انظر، جذوة المقتبس، ص214-217.
- (9) ترصيع الأخبار، مقدمة المحقق، (ج).
- (10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص460.
- (11) ترصيع الأخبار، مقدمة المحقق، (ج).
- (12) المصدر السابق، مقدمة المحقق، (ط).
- (13) ابن الأبار، الحلة السبراء، ط1، ج2، ص185.
- (14) أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي الإشبيلي المعافري، قاضي كورة إشبيلية، ولد سنة 468، وارتحل للمشرق سنة 485هـ، دفن بفاس 543هـ، انظر عن حياته ورحلته محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص25-28.
- (15) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص406-407.
- (16) نفح الطيب، ج2، ص37.
- (17) انظر، عباس، (رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل)، مجلة الأبحاث السنة 21، العدد (1-4)، ص79.
- (18) انظر، ابن العربي، قانون التأويل.
- (19) المصدر السابق، ص420.
- (20) السابق نفسه.
- (21) عباس، رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل، مجلة الأبحاث السنة 21، العدد (1-4)، ص60-61.
- (22) زكي، حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص65.
- (23) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص230.
- (24) الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، مقدمة المحقق.
- (25) المصدر السابق، ص98-99.
- (26) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص326-327.
- (27) انظر، الغرناطي، المغرب عن بعض عجائب المغرب.
- (28) المصدر السابق، ص29-30.
- (29) انظر، رحلة بنيامين التيطلي، مقدمة المترجم، ص27.
- (30) مؤلف مراكشي مجهول من القرن 6هـ، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، مقدمة المحقق.
- (31) ترصيع الأخبار، ص7-8.
- (32) ابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الصفحات 15 وما بعدها، 208، 107، 180، 186، 181، 187، 188، 190، 193، 194، 196، 197، 202.
- (33) انظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير المسماة (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)، ص6.
- (34) السرخسي، تاج الدين بن حمويه، ولد سنة 572، كان فاضلا نزيها عفيفا، زار الأندلس و المغرب سنة 593، انظر أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف "بالذيل على الروضتين"، ص174.
- (35) النفح، ج3، ص100-102.
- (36) هو أبو الطيب صالح بن يزيد بن موسى بن شريف الرندي، وهو من أوائل الرحالة غير الجغرافيين، وروى عنه جماعة، كان فقيها حافظا، له مقامات بدعية، نشأ في ظل دولة بني الأحمر. انظر: المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج2، ص137-138.
- (37) رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ص340-341.
- (38) عن حياة ابن سعيد، انظر: نفح الطيب، ج2، ص262، 294، 337، 370 وما بعدها.
- (39) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ط1، من القسم الخاص بمصر، ص4-12.
- (40) البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج4، ص96.
- (41) نفح الطيب، ج2، ص344-350.
- (42) ذيل كشف الظنون، ج4، ص371، وانظر عن حياته: الأنيس المطرب، ص33، والنفح، ج3، ص523.
- (43) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج3، ص324-325.
- (44) ابن رشيد الفهري السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة.
- (45) العبدري، الرحلة المغربية، ص35-36.
- (46) المصدر السابق، ص32-34.
- (47) زيادة، نقولا الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص187/190.
- (48) المصدر السابق، ص190.
- (49) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص527-528.
- (50) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت776هـ)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص45.

- (51) تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص 591.
- (52) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله (712-774هـ)، حجّ وتطوّف وشرّق، انظر، نفح الطيب، ج 7، ص 109.
- (53) ابن الحاج الغرناطي، فيض العباب وإفاضة مدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، ص 10.
- (54) الرحلة، ص 52.
- (55) المصدر السابق، ص 57.
- (56) السابق، ص 126.
- (57) رحلة ابن رشيد، المقدمة، ج 2، ص 31.
- (58) تاج المفرق، المقدمة، ج 1، ص 9.
- (59) الرحلة والرحالة المسلمون، ص 221، 224.
- (60) الرحلة، مقدمة المحقق.
- (61) الأهواني، سفارة سياسية، (مقتطفات من بعض المجالات الفرنسية والإسبانية والعربية)، مجلة أندلسيات، ص 95.
- (62) هو عبدالباسط بن خليل بن شاهين الشيعي، الملطي ثم
- القاهري الحنفي، ولد سنة 844هـ، قرأ في دمشق و نشأ فيها وفي حلب، انظر، السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، ص 27.
- (63) شيخه، بعض المظاهر الدينية في رحلة عبدالله بن الصباح الأندلسي، دراسات أندلسية، عدد 12، انظر ص 37-44.
- (64) أبو القاسم سعد الله، رحلة أبي عصيدة البجائي، مجلة العرب، المجلد 9، 10. انظر، ص 622-627.
- (65) انظر، البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب.
- (66) انظر، رسالة الغريب، ص 5، 6، 25.
- (67) تاج المفرق، المقدمة، ج 1، ص 77.
- (68) تاج المفرق، ج 1، ص 77، وقد أورد صاحب ذيل كشف الظنون اسما لهذا الكتاب، ج 4، ص 4081، مقدمة المحقق، ص 90.
- (69) تاج المفرق، ج 1، مقدمة المحقق، ص 77، ذكر المحقق أنها ذكرت في لقط الفوائد لابن القاضي.

المصادر والمراجع

- 1984م، طبعة الرباط.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتاب الحديث.
- الحمدي (ت 488هـ)، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، 1982، دار الكتاب اللبناني، ط 2.
- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، 1974، مكتبة لبنان، بيروت.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 776هـ)، نفاضة الجراب في علالة الاعترا، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي، القاهرة.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن (ت 633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، 1954، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- ابن الدلائي العذري، أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق، عبدالعزيز الأهواني، 1967م، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.
- ابن رشيد الفهري السبتي، محمد بن عمر بن محمد (ت 721هـ)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطيبة)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، 1982، الدار التونسية للنشر، تونس.
- رمضان، أحمد، الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربية،
- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، 1963، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1.
- الأهواني، عبدالعزيز، 1951م، سفارة سياسية، (مقتطفات من بعض المجالات الفرنسية والإسبانية والعربية)، مجلة أندلسيات.
- البجائي أحمد أبو عصيدة (ت 865هـ)، رسالة الغريب إلى الحبيب، تعريف وتعليق وتلخيص، أبو القاسم سعد الله، 1993، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- البغداد، إسماعيل باشا بن محمد الباباني (ت 1339هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين، 1982، دار الفكر.
- البلوي، خالد بن عيسى (ت 765هـ)، تاج المفرق في تجلية علماء المشرق، تحقيق، حسن السائح مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت.
- التطيلي، بنيامين، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة، عزرا حدّاد، 1945م، بغداد.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت 614هـ)، رحلة ابن جبير المسماة (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)، دار صادر، بيروت، 1959م.
- ابن الحاج الغرناطي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم النميري (ت 774هـ)، فيض العباب وإفاضة مدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون،

- جدة، د.ت.
- ابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ)، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
- زكي، حسن، 1945، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، مصر.
- زيادة، نقولا، 1962، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الحياة، بيروت، لبنان.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن سعيد (ت685هـ)، المغرب في حلى المغرب، قدم له زكي حسن وآخرون، 1953، ط1، من القسم الخاص بمصر، مطبعة فؤاد الأول.
- أبو شامة المقدسي، شهاب الدين بن عبدالرحمن بن إسماعيل (ت665هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف "بالذيل على الروضتين"، دار الجيل، بيروت.
- شيخة، جمعة، 1994م، بعض المظاهر الدينية في رحلة عبدالله بن الصباح الأندلسي، دراسات أندلسية، عدد12.
- عباس، إحسان، 1981، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط6.
- عباس، إحسان، 1968م، رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل، مجلة الأبحاث السنة 21، العدد (1-4).
- العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري الحيجي (ت700هـ)، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، 1968، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط.
- ابن العربي، أبو بكر الإشبيلي المعافري (ت543هـ)، قانون التأويل، تحقيق، محمد السلمي، 1986، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ودار مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- الغرناطي، أبو حامد محمد (ت565هـ)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، 1982، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- المعرب عن بعض عجائب المغرب، تحقيق إينغريد بيخارنوا، 1961، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد.
- أبو القاسم سعد الله، 1990، رحلة أبي عصيد البجائي، مجلة العرب، المجلد 9، 10.
- المراكشي، محمد بن عبدالملك الأوسي (ت703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس، 1965، دار الثقافة، بيروت.
- المقري أحمد بن محمد، شهاب الدين أحمد التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، 1968، دار صادر، بيروت.
- مؤلف مراكشي مجهول من القرن 6هـ، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق، سعد زغلول عبدالحميد، 1985، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، العراق.
- مؤنس، حسين، 1967، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1979.

The Morocco and Andalusian Travels

*Amenah Suleiman Al Badawi**

ABSTRACT

This study intended to trace the Morocco and Andalusian travels from the third century A.H up to ninth century A.H. since the numbers of these travels are fewer than of the real number of travelers themselves according to reference.

There were many motions beyond these travels. The greatest was religious Islamic duty pilgrimage or the (Haj). After doing the duty and visiting Mecca and Medina (Haramin), most travelers tended to visit the holy places in the east such as Al Aqsa Mosque in Jerusalem or the shrine of Abraham in Hebron then they stopped over Damascus or other cities. During their return to homeland they stopped in Egypt to visit Amr Bin Al -As mosque in Fostat. At last, they crossed mafazah from Burga to Tarablus, then to Tunisia and back to Morocco or Al-Andalus.

Other motives were the tendency towards explanation and discovering the unknown, or searching for knowledge. The researcher has traced in this very research the printed travels in resources, manuscripts and the scattered ones in books. Besides, she/He has traced the signs of these travels and arranged them chronologically. And if the date of the travel has'nt been found, the researcher relies up on the year of the authors demise. Otherwise, she/He takes up the century of the travel unless the author's death has been found.

Thus, the arrangement of the travels has been chronological according to the centuries. It begins with the third century A.H. and ends up with the ninth century A.

Keywords: Morocco, Andalusian, Travels.

* Department of Arabic Language, Faculty of Arts, The University of Jordan, Amman. Received on 2/7/2011 and Accepted for Publication on 18/7/2013.